# الخطر الحاصل من دمج المفاهيم المحرفة في التوراة والإنـجيل مع المفاهيم القرآنية الصحيحة واثر ذلك على الهوية الإسلامية


المدرس الدكتور
أزهر صادق كاظم

المدرس المساعد
حيدر علي حسين كاظم

جامعة الإمام الصادق عليه السلام ـ فرع الخالص

# الخطر الحاصل من دمج المفاهيم المحرفة في التوراة والإنـجيل مع المفاهيم القرآنية الصحيحة واثر ذلك على الهوية الإسلامية

المدرس الدكتور
أزهر صادق كاظم

المدرس المساعد
حيدر علي حسين كاظم

جامعـــة الإمـــام الصـــادق عليه السلام ـ فـــرع الخـــالص

## المقدمة:ـ

فإن امتنا تعيش في معترك حام، تحت سماء حمراء متوهجة، تملئها خيل الدعاة البغاة المعججة، وتتخطفها الأيادي ألاثمة، وتنخر أرضها الطاهرة تمددات سرطانية عابثة ولا شك ان هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الإنسانية تستحث المسلم لنثل سهام من كنانة الحق رغبة في إخماد وساوس الباطل وشقائقه وإفشال دحر الهوية الإسلامية، ولا شك ان حماية خيمة الدين وصيانة حوزة التوحيد وحماية الهوية المسلمة هي من أهم المهمات في زمن الملمات، ومما لا يستريب فيه عاقل ان مرحلة التيه التي تتخبط فيها طوائف مليونية وتحترق في اتونها يوميا، تستدعي من حاملي مشاعل النور ان يخرجوا إلى اللذين قد سكنت في قلوبهم أقطاب اليهود والنصارى ويسعون في محاولات حثيثة الى استقطاب المسلمين لدينهم، وقد كان رد فعل اليهود والنصارى في رد المسلمين عن دينهم متباينا فمن مهرولا الى الباطل، ومن متأني في مشيه له غاية أخرى من ذلك، ومن نصب سيف حرب على الوحي مباشرة ليعلن بباطله المنتفش انتفاشة الزبد الرابي السريع الزوال، ومن ضمن محاولات اليهود والنصارى في الوقت الحاضر ربط نصوصا من القران الكريم بمفاهيم محرفة واردة في التوراة والإنجيل ويحرفونها عن معانيها الحقيقية ويبعدونها عن دلالاتها الواضحة، يبغون من ذلك تشويه وطمس الكثير من

المعاني والمعالم الإسلامية الجميلة وخروج الهوية الإسلامية عن ثوبها الأصلي، وبعد ذلك يرتد المسلمون من حيث لا يعلمون إلى الديانة اليهودية والنصرانية، ورويدا رويدا يطبقون المفاهيم المحرفة على حجة انها مفاهيم إسلامية، فلذلك ولبيان خطر هذا الشيء جاء بحثي بعنوان (الخطر الحاصل من دمج المفاهيم المحرفة في التوراة والإنجيل مع المفاهيم القرآنية الصحيحة واثر ذلك على الهوية الإسلامية).

## المبحث الأول

## مفهوم الهوية الإسلامية في المعنى القرآني والمعنى النفسي وأراء العلماء حولها ويتضمن

### المطلب الأول

### مفهوم الهوية الإسلامية في المعنى القرآني وأراء علماء الدين حولها

إن الثقافات كالأفراد منها ما هو في طبعة يستقبل الآخر وينفتح له ويكرمه ومنها ما هو على العكس من ذلك تكون شحيحة مقبوضة اليد، منطوية على الذات لا تحسن الكرم ولا تحسن الضيافة.. وكذلك الحال مع الثقافة منها المنغلق الذي لا يقبل الآخر ويقوم بإبعاده وإقصائه بل واختزاله.. فإن ارتباطها المتعدد بالطبيعة والإنسان والمطلق، يجعلها بؤرة التذاوت والتنشئة والوعي بالذات.. إن لم نقل الحقل الذي تتشكل فيه الهوية[1].

ولعل المشكلة الجوهرية التي تطرح على الثقافات، بما فيها الثقافات الفرعية وحتى في أحشاء نفس الثقافة تتمثل في مسئلة الاعتراف بالآخر، وإمكانية التثاقف معه.. وقد رأينا الثقافة الغربية وغطرستها وتورّمها حول الذات وإقصاؤها بل وفي حالات معينة إبادتها للآخر (كما حصل مع الهنود الحمر) وعلى ضوء ما رأيناه من الثقافة الغربية المتمركزة بكثافة عالية حول ذاتها. مما

جعلها ثقافة تقوم على الكبرياء والجبروت والتغطرس والغرور القاتل.. بل لا نتجاوز الحقيقة والواقع إذا قلنا بأن المدارس الفكرية والاتجاهات الفلسفية التي تموج بها القارة الأوروبية وامتدادها في الولايات المتحدة وأمريكا الشمالية.. هي اتجاهات ومسارات محسوبة من أجل تحقيق مصالح محدودة لفئات معينة، استطاعت أن تتسلل إلى المجتمعات الغربية بشتى الطرق والوسائل الشرعية وغير الشرعية، ظاهرة مرة ومستبطنة ومختفية مرات عديدة.. والغرب الحديث، بل ومنذ القرون الوسطى وهو يجحد ويتنكر للدور التي أدته الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها على المجال الثقافي والمعرفي الذي وصلت إليه أوروبا.. هذا التنكر والجحود هو من طبيعة النفس المريضة بورم الذات والتي لا تجد غير ذاتها من فرط أنانيتها. وكأن ما وصلت إليه هو إبداعها وإنتاجها الخالص، فقطعت كل صلة لها مع الحضارة والثقافة العربية في الأندلس وغير الأندلس، بل إن الفكر اليوناني الذي تحاول ربط ثقافتها فيه جاءها عبر الوسيط العربي والإسلامي وامتداداه اليهودي.. تمامًا كما كان حال الفلسفة اليونانية، التي اختزلت كل تأثير للحضارات والثقافات الشرقية فيما وصلت إليه.. وكأن الفكر والفلسفة هو إبداع يوناني من الصفر... هذه الحالات من المركزية حول الذات، هي عنصرية ولا أخلاقية وبالتالي لا إنسانية.. وسوف نرى في مواجهة ذلك موقف الثقافة والعقيدة الإسلامية من الآخر وما دورها ورسالتها في موضوع التطابق والاختلاف، في موضوع الإرادة والاختيار والعيش مع التعددية وممارستها. ومن هي أكثر إنسانية[٢]...؟

ومنذ أن دشّن القرآن الكريم فعل الاعتراف بالآخرين ضمن مقاييس محددة ووضع وجوده ضمن الانتماء السلالي المشترك للاعتقاد الإبراهيمي، برهنت الثقافة العربية الإسلامية على قدرة متميزة على الاتصال بالآخر،

والانتهال من منجزات الحضارات الأخرى، من غير تستّر على ما تأخذ أو إغفال وإخفاء لدور الآخرين.. مع التأكيد على ظاهرة منافحة أو رفض هنا وهناك. خاصة في أزمنة الصراع الساخن والانسداد.. وما يبرهن على الانفتاح الثقافي للحضارة الإسلامية والعربية هو العمل على استنبات آليات اشتغال الفكر اليوناني في التربة الفكرية العربية الإسلامية، وهذا يمثل لحظة جاذبة في سيرورة التعبير عن القدرة على التفاعل مع "الآخر"، من غير ارتباك أو حرج في إبراز ذلك للمشاهد سواءً كان من الداخل أو من الخارج.. سواءً كان ذلك انفعال بها أو تفاعل معها أو حتى رفضها[٣]..

لقد أكد "بول فاليري" من جهة معينة على قدرة الثقافة الغربية في أزمنتها الحديثة والمعاصرة، تتمثل في "هضم" الثقافات المختلفة.. وأما الاعتراف، باعتباره آلية منتجة، فعليًا، للرموز، فيتموضع في نقطة التقاء بين ثلاث قوى مولّدة للرمز، وهي الرغبة والسلطة واللغة.. وبحسب "عبو سليم" تعبّر "الرغبة" في ديناميتها السلبية عن النقص في الوجود.. أي الضبط عن الحاجة في الاعتراف، ما دام الاعتراف هو رغبة في رغبة الآخر.. أما السلطة، وضمن جدل التملك والعطاء الذي يميزها فإنها وسيلة لاقتراح، أو بالأحرى لفرض الاعتراف على الآخر.. في حين تعبّر اللغة عن مقاصد الرغبة والسلطة، وتمنح للإعتراف غايته الأخيرة، أي أن يكون في كل لحظة من الوجود. انتصاراً للحياة على الموت وللمعنى على اللا معنى... بينما الأمر عند ليفي شتراوس الذي يؤكد أن كل اعتراف يفترض الآخر في أبعاده التعاونية والصراعية.. في تنوعه واختلافه.. فتنوع الثقافات الإنسانية، في نظر شتراوس فهو "يوجد وراءنا وحولنا وأمامنا، والشرط الوحيد الذي يمكن صياغته، هو المطالبة بضرورة تحقيق التنوع في أشكاله وأنماطه المختلفة، بحيث يساهم كل شكل أو نمط في السخاء العظيم للآخرين"..

وحين تطرح مسألة الاعتراف والاختلاف دعوة التسامح تبدو وكأنها: "مثال مستحيل" إذ كيف بالوسع العمل على الاعتراف بالآخر واستقباله بدون فقدان ذلك الإنسان الذي "كنّاه"؟ وإلى أي مدى يمكن استقبال الآخر والاعتراف به واستنبات بعض عطاءاته دون أن تضيع ذواتنا...؟[٤]

إذا كانت الثقافة الغربية ذات قدرة على "هضم" الثقافات الأخرى كما يقول "بول فاليري" فشتان بين "هضم" و"هضم".. هناك هضم معلن يعترف بالغذاء الذي يقدم له ثم يهضمه من غير حرج.. وفي مقابل ذلك هناك "هضم" يفعل ذلك سرقة واختلاسًا، لخوفه على تميّزه وخصوصيته وما "كأنه" فيدخل إلى أحشائه ما لا تراه عينه خوفًا على كبريائه وغروره من أن يهزم..وأما الذات التي لديها خصوصياتها، ومميزاتها وصفاتها الذاتية، الذات التي تملك الذات التي تحوز، فليس لديها ما تخشاه على هويتها المميزة المليئة بخصوصياتها، فإن تثاقفها مع الآخر، وأخذها من الآخر، لا يغير مجمل ملامحها أو شخصيتها، فهي عندما تأخذ من الآخر فهي عملية تخصيب وإثراء.. أما الذات الفارغة المستعلية التي ليس في جوّاتها ما يكفيها فإنها تخاف من جوعها أن يأكل أكثر مما تنتح، فيفقد ذاتيته وشخصيته وهويته.. أما الذات التي تحتوي على كثافة إنتاجية ذاتية فلا تخشى من التثاقف والتزاوج والإخصاب..!!!

وإذا كان من الصعوبة بمكان وضع أسلاك شائكة لمحاصرة حركة الفكر، فإنه من المستحيل إقامة نظام رقابة صارم على الأجسام والرموز والصور، حتى في أزمنة التوتر والحروب الساخنة والباردة. أو في مناخات تتميّز عمومًا بميل متغطرس إلى الرفض والاحتياط الحاد من "الآخر"، يقول "كلود ليوزو" بأن السيطرة والإقصاء، والاحتقار والحقد أو الخوف من "الآخر" يمثّل أحد اتجاهات الثقافة الأوروبية، على عكس النزعة الكونية وقوى التفتح والتحرر

التي تحمل هذه الثقافة أيضًا. فهناك في الجهة الجنوبية الشرقية لحوض البحر المتوسط شعوراً جماعياً عميقاً، بأننا، دائماً ضحية "الآخر". ذلك أن "براءتي" كما يقول "داريوش شايغان" ثابتة، فكل ما يمكن أن يحصل لي من شقاء، يرجع إلى تلك القوة الملغزة التي لا أملك القدرة على مراقبتها، لأنني في الحقيقة، ضحية قدر قديم قدم العالم لدرجة أنه - أي هذا القدر - يظهر دائمًا، في شكل أقنعة جديدة"(٥).

كيف يمكن أن أُقدم نفسي إلى العالم بوصفي عربيًا..؟ ويبدو أن هناك إشكالية من نوع ما، في "معنى" أن تتقدم إلى ذاتك وإلى العالم بوصفك عربيًا؟ كيف تكون - أو تعبر عن كينونتك - بمعنى ما من معاني العربية؟ وهي قضية بالغة التعقيد وأحيلانًا استفزازية(٦)؟

ما معنى أن خروجي إلى الناس بعروبتي، يعني أنني أستفزهم..؟ وهل في العروبة من عناصر ومبادئ وقيم باطلة وفاسدة ومضرة يمكن أن تستفز الآخر..؟ أكثر من أن يستفزه الفرنسي والانجليزي والصيني أو الياباني..؟ هل في العروبة أنانية مفرطة وتمركز حول الذات يؤدي إلى إقصاء الآخر ونفيه...؟هل في العروبة ومكوناتها صفة الاستعلاء والشعور أنها فوق الجميع...؟ وهل تشعر العروبة أن "الآخر" وجد لكي يخدمها ويقوم على رعاية حاجاتها..؟ كما يفكر أهل اليونانية، أو "البيض والشقر أصحاب الوجوه الطويلة"!!؟

لقد طرح كثير من الناس هذه الأسئلة، والمقصود الأسئلة: كيف يقدم العربي نفسه إلى ذاته وإلى العالم..؟ كيف تكون أو تعبّر عن كينونتك بمعنى ما من معاني العروبة...؟

وقد طرح كثير من الناس من العرب والمسلمين والأجانب، ومن زوايا

مختلفة بل وأحيانًا متنابذة، فمثلاً قد اعتبر "أندريه ميكيل" بوصفه أحد المطّلعين على الرأسمال الرمزي والتاريخي للعروبة. أن "تعريف العربي كما هو الشأن بالنسبة للفرنسي، الإيطالي أو الأوروبي... إلخ، وهذا يذكرنا بقولة "هايدجر" البليغة التي يؤكد فيها على ان "اللغة هي مسكن الكائن". غير أن ذلك يطرح سؤالاً آخر: إذ هل يمكن للمرء أن يتحدد أو يتمثل ذاته في مرآة لغته..؟ وهل الهوية الثقافية باعتبارها تجسيدًا لاسلوب من النظر والعمل والشعور، تمنح مقوماتها، استثنائيًا من الخزّان اللساني والرمزي الذي تمثّله اللغة...؟

بينما نجد أن "دومينيك شوفالييه" يؤكد هذا الافتراض بل يتجاوزه نحو انفتاح آخر، ذلك أن العربي "عنده هو" أولا وقبل كل شيء، من يتكلم العربية، هذه اللغة التي ارتفعت إلى مستوى التقديس مع الوحي القرآني، لأنها ما زالت تحتفظ بوهجه الروحي، بتفجره الشاعري الهائل وبقوته التبشيرية.. وعلى الرغم من أن العربية "تكيّفت" بأشكال مختلفة، مع تحديات "الحداثة" في القرن العشرين، من خلال الأنماط الجديدة للتربية وللتواصل الآيديولوجي فقد ظلّت "العربية" مع ذلك هي الضامنة لاستمرارية المثل الإسلامية وللرسالة الإلهية، بل إنها تمثل أيضًا الذاكرة التي تمنح الفرد عناصر الوعي للتعبير عن هويته قياسًا إلى الجماعة التي يتحرك داخلها. بل ويتجاوز ذلك إلى إمكانية التسامي عن هذا الحد الاجتماعي داخل الإسلام باعتباره دينًا كونيًا(٧).

ويفترض محمد نور الدين أفايه إشكاليات، تذهب إلى حد افتعالها حين يقول: "أن تكون عربيًا بهذا المستوى، يعني استدعاء اللغة المرتبطة بالمقدس والمعرضة لملابسات الزمن وللأشكال المتعددة للتكيّف، أي اللغة كنبع للذاكرة، كمجال للتخيل، وكحقل للوعي.. وأما "عبد الكبير الخطيبي" فيعتبر أن "العربي" هو الذي يتقدم، بوصفه عربيًا، أينما وجد في تاريخه، وفي ذاكرته،

في مجال حياته ومماته.. أينما كان في العالم العربي أو غيره.. يواجه العربي هذا المشكل كما يواجه معضلة حلّه، بإعادة تشكيل ذاكرته (الفردية والجماعية) في تمثل الفضاء الذي يؤطرها. وهذا التأطير متعدد، لأنه يبدأ من الداخل الأكثر حميمية والأكثر سريّة لشخص ما إلى هوية أرض أو مجال حضاري. بل إلى الحدود الإنسانية والكونية التي تكيّف واقعه ومتخيلة. لذلك فإن العربي يغدو إسماً لهوية في صيرورة، أي لذلك الذي يتوافق مع متغيرات العالم للتفاوض على موقعه، أينما وجد، في بلده أو في بلدان أخرى، مع شركاء حقيقيين(٨)".

لا أدري كيف ولماذا يثير هؤلاء النفر إشكاليات إما أنها لا وجود لها، وإما أنها عامة في كل اللغات الحية والمتطورة..؟ في كل اللغات التي استوعبت الكتب المقدسة فقد استوعبت اللغة العبرية التوراة ككتاب مقدس. بل هناك العديد من المفكرين اليهود مثل هريمان كوهين، والذي أشغل كرسي الفلسفة في جامعة "هامبورغ" لسنين عديدة حتى خلفه عليها "هيدغر". فكان يرى ان اللغة العبرية لغة التوراة ينبغي أن لا تتحول إلى لغة محكية في مجال السياسة والفن وغير ذلك، وإنما لجلالها ينبغي أن تبقى حافظة للطقوس الدينية وتؤدى بها الصلاة، ولا ينبغي ان تنزل لتصبح حديث الناس اليومي... وقبل ذلك صحف إبراهيم هل أكسبت اللغة التي نزلت بها قداسة ومكانة معينة.. وهل اليونانية القديمة التي كتب بها الإنجيل أو اللاتينية اكتسبت قداسة ما لمجرد أن كتب بها الإنجيل.. وكذلك العربية التي نزل بها القرآن، إنما المقدس هو النص القرآني ومتنه.. وليس في أشعار عنترة وابن كلثوم والحطيئة وغيرهم من الكتّاب والشعراء قداسة.. هذه ألفاظ وتعابير وأطر تحشى بالمقدس كما قد تحشى بالفاسد والباطل من الأفكار، تستوعب الفضيلة كما تستوعب الرذيلة، وفيها المقدس والأدب الرفيع، كما فيها

الأدب والفـن المـائع المنحـل والمنحـدر... إنمـا الـنص يتصـف بالقداسـة أو الانحطاط تبعًا لما في متنه من معانٍ ومضامين ومفاهيم[٩]..

واللغة كحافظة للفكر والأدب والفن.. واللغة كوسيلة للتواصل، واللغة كتعبير لما يجيش في النفس والوجدان والعواطف، واللغة التي نعبر بها عما يحيطنا من سماء وجبال ووديان وهضاب وشجر وحجر وحيوان أو طير، هذه اللغة لتي نصف بها كل هذه الأشياء والتي هي بهذه الصفة المكوّن الأساسي والرئيسي لذاكرتنا ومن ثم هويتنا.. فأين هي الشعوب والأمم التي لا تكون اللغة هي المكوّن الرئيسي لذاكرتها..؟ إذا ما استثنينا الجماعات الأقلية العرقية الذين ينتمون لأكثر من لغة وأكثر من مكان، فالحياة لديهم مصلحة، الحياة مصنعًا أو شركة.. الحياة لديهم هو المال المتنقل، فلا ينتقلون من بلد إلى آخر بعواطفهم ووجداناتهم وإنما ينتقلون بأموالهم، والمال عندهم أغلى رأس وشيء في العالم... حتى مقولة الماركسية - اللينينية التي ترى: "أن الإنسان هو أغلى رأس مال في العالم" ولكنه يبقى رأس مال...!!! ولا أدري، بعد ذلك، كيف يصبح العربي وحده "إسماً لهوية في صيرورة..؟ وهل هذا الوضع لا ينطبق على الفرنسي والانجليزي واليهودي وغيرهم...؟! وما يسكت عنه هؤلاء جميعًا هو محاولاتهم افتعال إشكاليات بين العربي وبين القرآن الذي نزل باللغة العربية..!!! العربية كلغة هي حافظة للنص القرآني المقدس الذي نزل من عند الله المقدس.. والعربية كلغة حفظت أشعار وخطب العرب في جاهليتهم وفي إسلامهم.. ما نطق به امرؤ القيس والأعشى وقيس بن ساعدة الأيادي وما قاله عمرو بن هشام وغيرهم ليس مقدسًا، بل إن بعض تلك الأقوال لينحط إلى سفاهة وسماجة ممقوتة.. فأين المقدس من غير المقدس..؟ وأين العلاقة بينهما، وهل كل ما كتب باللغة العربية يصبح مقدسًا بالرغم من مضامين ومعاني نصوصه...؟!! لماذا نفتعل

هذه الإشكاليات[١٠]..؟

ولعل محمد عابد الجابري أقرب إلى المألوف حين يقول: "أن سؤال العربي يفترض أكثر من جواب، باعتبار أن كل جواب، سيختلف باختلاف من طُرح عليهم هذا السؤال، وهم أطراف متعددة، مختلفة المصالح والرؤى مما يجعل من "العربي" مفهومًا مصنوعًا، صورة تختلف مضمونًا، وملامح حسب نوع الوعي الذي ترسم فيه والمكان الذي يضعها فيه.. إنها وعي الطرف الذي يصنع "العربي" في موضع "الآخر"، وفي الوعي الذي يتخذ منه "الأنا" وصورة مستقبله، شيء آخر تمامًا. وبين هذين المتقابلين صور متعددة لل"عربي" بعضها امتدادًا لهذه، وبعضها فروع من تلك".

ويؤكد الجابري ويشدّد على ضرورة الانتباه إلى أهمية تعدّد الرؤى والمواقع في النظر إلى العربي قياسًا إلى ذاته وإلى الآخر، فالعربي ليس وجودًا جامدًا، ولا هو هوية ثابتة، جاهزة، إنه هوية تتشكل وتصير ولذلك فإن يكون الإنسان "عربيًا" وليس فقط مغربيًا، أو مصريًا، أو عراقيًا... الخ.. هو أن يكون "عروبيًا" أي نزوعًا نحو تحقيق الوحدة الثقافية العربية القائمة بوحدة اقتصادية، ونوع ما من الوحدة السياسية[١١]...

ويضيف الجابري إلى تعريفه السابق: "أن يكون الإنسان عربيًا هو أن يشعر بأنه عربي فعلاً عندما يتعرض شعب أو فرد عربي لعدوان أجنبي.. وخلاصة القول عند الجابري: أن الهوية العربية هي انتماء إلى رابطة قومية لها مضامينها الثقافية والاقتصادية والسياسية يحركها شعور "عصبوي" تقريبًا، تتعزّز من خلاله، كلما تعرضت للتحدي أو الاعتداء من "الآخر".. وهكذا تصبح الهوية ليس غير رد الفعل ضد "الآخر" ونزوع حالم لتأكيد "الأنا" بصورة أقوى وأرحب"[١٢].

## المطلب الثاني

## مفهوم الهوية الإسلامية في المعنى النفسي وأراء علماء النفس حولها

ولكن الهوية إلى جانب أنها ردة فعل ضد "الآخر" فهي أيضًا ما أنا عليه في نظر نفسي وفي نظر ذواتنا المشتركة..

وينزاح صاحب كتاب "الغرب المتخيل" عن موقفه ليتساءل حول تعريف الجابري "هل يمكن القول أن الهوية تتمثل في الوعي الضدي للآخر؟ ثم ما هي الصور التي يتخذها هذا الآخر في المجال العام للهوية..؟ ثم يجيب على ذلك بقوله: تبدو معالجة مسألة الهوية والاختلاف، الذات والآخر، في بعض الأحيان وكأنها، عمل بلاغي بامتياز...!! بقدر ما أن هذه المسألة حيوية بل مستفزة أحيانًا، تصبح في بعض الخطابات، وكأنها مشكلة مزيفة، بل ويواجه المرء صيغًا تطغى عليها النبرة المأساوية، وكأن الأمر يتعلق بنقص أو بخصائص في الذات، بل وبفخ جهنّمي تتعرض له من كل جانب واستدعاء ثنائيات من قبيل: ماضي، حاضر، أصالة، حداثة، هوية، استلاب، شرق، غرب، وكثيراً ما داخل أطر فكرية ونفسية تعطي لهذه الثنائيات مضامين، "جوهرانية" لا تراعي مفعولات التغيير، أو الازدواجية أو الخلخلة التي يتعرض لها الأشخاص والأوطان والثقافات.. بل إن التقدم باسم حضور منغلق على حدوده الخاصة، إزاء آخر اجتياحي، لا يعني البتة، الانقلاب من السياق الثقافي العام، التي تعمل الحضارة الغالبة على نحته، حصل هذا في الماضي ويحصل في مجال ادراكاتنا، وسيحصل في المستقل[١٣].

ولكي نقترب من سؤال الآخر في الثقافة العربية الإسلامية، من زاوية مختلفة وذلك بالتبرم، جهد المستطاع، من التعريفات الكلية القطعية، ومن التحديدات التي في فهم جوهراني للذات وللآخر، للشرق أو الغرب، فبأي

غرب يتعلق الأمر حين يتقدم الكائن العربي الإسلامي أمام ذاته وأمام الآخر؟ ما هو القسط أو نسبة الآخر الذي يسكنه؟ كيف يصاغ جدل "الهوية" في الكتابات العربية الإسلامية؟ وكيف يمكننا تصور الأشكال المختلفة للقاء، للتقارب وللتوتر بين العالم العربي الإسلامي والغرب الأوروبي؟ما هي الإمكانات التي نضعها لأنفسنا لمعرفة الآخر...؟ وبالتالي تكوين صورة عن الذات بوصفها عملية مشروعية فاعلة..

فنحن حين نتحدث عن الآخر، فإننا لا نقصد كيانًا كليًا، أو أن الذات تتماهى مع ما يشابهها.. فالآخر - والأمر هنا يتعلق بالغرب - باعتباره اختلافًا ثقافيًا، يشكل جزءًا من نظرتنا إلى الذات، سواءً تقدم إلينا بوصفه شريكًا متساويًا أو في هيئة غاز ومستعمر، أو تاجر أو مبشّر، أو باعتباره كيانًا متغطرسًا أو مهادنًا... ألخ. فالآخر، لا مندوحة، حالٌ في المجال الوجودي للهوية.. إنه يمثل، وبشكل مفارق، موضوع إغراء ومنبعًا للحيطة والحذر... فهناك مسئلة غربيّة في الوعي واللاوعي العربي الإسلامي، وذلك منذ الصليبيين إلى الآن.. وهذا القول وإن كان من باب تحصيل الحاصل، غير أن هذه المسئلة تكتسب في كل مرة، مضمونًا وتسمية مختلفين.. فهي تحيل على الرومان والإفرنج او النصارى، أو على الأوروبيين أو الاستعماريين... أو على الغربيين كما لو أن كل فترة من فترات التاريخ الجدلي لعلاقة "الشرق" و"الغرب" تفرز نمطها الصراعي.. وأن لحظات التفاهم والهدنة والاعتراف تبدو نادرة وعابرة[١٤].

وكذلك الأمر في رؤيا الكتاب الغربيين لهذه العلاقة بين "الشرق" وبين "الغرب" ففي رأي جان بول تشارني فإن الغرب قد اجتاز أربعة مراحل:

١) الغرب الإغريقي - اللاتيني.

٢) الغرب المسيحي الإقطاعي.

٣) غرب الدول - الأمم والامبراطوريات البحرية.

٤) والغرب الأطلسي التقني - الاقتصادي.

بينما جلبرت جراند غولوم فإنه يرى: أن الشرق والغرب مطروحان، بقوة، بوصفهما مفترقين، متعارضين، بينما يتشكل تاريخهما من فرص اللقاء والاتصال والمواجهة، حيث الواحد يتعارض مع الآخر وكأنه لا يريد ان يعترف به، ولا حتى بالجوانب المشتركة من تاريخهما وثقافتهما. فهناك نوع من الخشية تنتاب كل طرف منهما، "خوفًا من أن يبتلعه الآخر" أو كأن الآخر يمثل جوانب من الذات ترفض الاضطلاع بها.. فقد ولّد الغرب قاموسًا كاملاً من الصور النمطية عن الإسلام، عن النبي محمد وعن العرب منذ العهد الصليبي وقبله وحتى الآن(١٥).

يلاحظ برنارد لويس في سياق حديثه عن الاختلاف في النظرة المتبادلة للشرق والغرب: "هذا الوجود والشعور المتبادل لا يعود إلى تسامح ديني كبير من طرف الأوروبيين، بل لقد كان الأوروبي على العكس من ذلك، أكثر تعصبًا، وغير متسامح تجاه المسلم، مما كان الأمر عليه بالنسبة للإسلام والمسلمين تجاه المسيحيين.. ويرجع لويس ذلك إلى مدى تفتح الإسلام في مرجعيته اللاهوتية والتاريخية العملية كذلك. فبالنسبة للمسيحية كما هو بالنسبة للإسلام، كلاهما يعتبر نفسه الرسالة الإلهية الأخيرة للإنسانية، غير أن الترتيب الزمني، كما يفرض اختلافًا في إدراكات أصحابهما.. فقد كان المسيح بالنسبة للمسلم رائدًا ونبيًا مبشرًا، في حين أن النبي محمد كان، في نظر المسيحي، دجالاً مضللاً.. ولهذا كان المسيحي يتمتع كما هو الأمر مع اليهودي، بحق التسامح من طرف الدولة الإسلامية، أما بالنسبة للمسيحي، فإن موقفًا مماثلاً كان غير مقبول من الزاوية اللاهوتية ما دام الإسلام يمثل دينًا بعديًا(١٦).

هناك شبه إجماع من الباحثين، ومن منطلقات منهجية مختلفة، ومتضاربة أحيانًا، اعتبار الإدراك الغربي للشرق العربي الإسلامي، ما زال مسكونًا بالتصورات والأحكام القبلية التي أنتجها التراث الوسيطي، ولاسيما المسيحي منه ولم يتمكن فكر "الأنوار" على الرغم من بعض الكتابات النقدية فيه، من تكوين نظرة مغايرة وجديدة عن الإسلام... بل إن فكر "الأنوار" وعصور العقل وسلطته قامت هي الأخرى بإقصاء الآخر، واعتبار ما توصل إليه العقل الغربي هو الحقيقة المطلقة وما على الآخرين ومن بينهم المسلمين إلا الذوبان في هذا المعطى الثقافي الغربي.. وبناءً على ذلك فمن الممكن إن لم يكن مؤكدًا اعتبار العصر الوسيط، قد وضع الأسس الدينية العميقة للنظرتين المتبادلتين بين أوروبا والعالم العربي الإسلامي؟ لدرجة أنها تؤثر وبشكل عميق، في التمثلات التي يحملها كل طرف عن الآخر.. ولكن رأينا قبل قليل ومن الغربيين بأن الإسلام قد وفّر المناخ المعتدل والمتسامح للمعاملة من النصارى واليهود.. فإن التعصب والتطرف هو من طرف الغرب بشكل خاص.

وإذا كانت الحداثة الأوروبية، منذ القرن الثامن عشر، أعطت أبعادًا جديدة لمسألة المغايرة، حيث أنها سحبت إرادة القوة على التحكم في الطبيعة والمكان مما قادها إلى النمو المادي والتقدم. وقد تحول هذا المضمون، إلى قوة جارفة مهيمنة تعمل، بكل ما تملك من وسائل، على صياغة التمثلات والتسميات عن ذاتها وعن الآخرين. وبسعيها إلى فرض قيمها على الآخرين، فقد استنبتت أوروبا الحديثة، بشكل متساوق، عناصر انفصال حقيقية في الكائن العربي الإسلامي، الذي ما انفك، منذ مختلف لحظات اللقاء العنيف مع هذا النموذج الحضاري الجديد، يتحدد من خلال الآخر، وينظر في مقوماته الذاتية على ضوء ما يفرضه عليه هذا الآخر من رهانات وتحديات[١٧].

وقد وصل العرب والمسلمون إلى هذا الواقع، لأن منذ البداية قد خسر

حضوره وفاعليته في واقعه منذ انسداد أفقه بعد إغلاق باب الاجتهاد، فكانت أول خسارة له حين وقوعه أسير الماضي بتجلياته الخرافية أو السلفية التي أصبحت بالنسبة له منتجًا آخر يستهلك هو من إنتاج هذا الماضي، وهذا الماضي بصفته قد أصبح "آخراً" فهو يقتات على الذاكرة السلفية.. وهذا قد سهَّل عليه أن يخسر معركته في الحضور والوجود الفاعل في الواقع المعاش ومن ثم خسارته وانهزامه أمام الغازي الأوروبي..

وظل السؤال الذي يفتش عن جواب أمام "المفكرين" العرب: كيف يمكن للعالم العربي والإسلامي، أن يعرف ذاته ويحدد موقعه بالقياس إلى ما يجري في الغرب... بينما كانت النهضة الأوروبية واقعًا ملموساً ظلّ المشروع النهضوي العربي في مجاله الأوطوبي. وهكذا وجدت النخب العربية نفسها تتأرجح بين: النموذج الأوروبي الذي يفرض نفسه في الواقع، والنموذج العربي الإسلامي الذي تحقق في الماضي، ويجر معه تجربة تاريخية ثقيلة.. بل تحجبه وتغيّبه ركامات من الاجترار السلفي، الذي يمنعه من الانتساب الحقيقي للمشروع العلمي والفلسفي الذي حققه العلماء المسلمون.. وقد لاحظ محمد عابد الجابري: أن التعامل نهضوياً - على صعيد الخطاب - مع النموذج الأوروبي يتطلب منهم السكوت عن الجانب الاستعماري فيه. وهذا غير ممكن لأن الاستعمار الأوروبي بالذات يعوق نهضتهم، بل ويهدد وجودهم.. وإذًا لا بدَّ من معارضته، بل أكثر من ذلك، لا بدّ من فضحه ومقاومته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن التعامل - نهضويًا كذلك، مع النموذج العربي الإسلامي يتطلب بدوره السكوت عن قرون طويلة من "الانحطاط"، وهذا السكوت غير ممكن هو الآخر، لأن قرون "الانحطاط" هذه جزء من هذا النموذج نفسه، وإذًا فلا بد من حضورها، بكيفية أو بأخرى في نفس الخطاب"[١٨].

ويخرج الجابري من هذا التفسير التقابلي المفتعل بين النموذج الإسلامي

المغموس والمقدم من خلال عصور الانحطاط والذي لا يستطيع الانفلات منه، وبين النموذج الأوروبي المغري بالقول: "ومن هنا يبدو لنا من البر القول إن إعطاء مضمون للفكر العربي الإسلامي الحديث، يفترض استدعاء الآخر وانزياحًا متخيلاً مزدوجًا نحو الغرب في تركيبته المعقدة، الكاسحة والمغرية، ونحو ماض موصوف بشكل عجائبي مثير ومؤثل".

وهذا ما يجعل الجابري لا يقف في عمق التجربة الإسلامية، بل عند طبقاتها الخارجية. من جهة فهمه للتراث في صورته العلمية والفلسفية من جهة، ومن جهة يحاكمها إلى الآلية المنطقية الغربية.. بل لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا أن الجابري لا يشعر بنبض الحضارة العربية الإسلامية وحيويتها معايشة من داخلها. العلم الذي يبحث في التاريخ لهذا الإنسان ببعده المادي والروحي. وبهذا الملكوت بصفته مخلوقًا. وهذا ما يميز الحضارة العربية الإسلامية عن مثيلتها الأوروبية المنبتة من عمقها المعنوي الروحي.. هذا التعقيد في الرؤيا والوضوح أمام المشروع النهضوي العربي، الذي لا يميز بين فكرين يتجاذبان من داخله مرة ومن خارجه تارة أخرى.. المفكر العربي المسلم لا يملك الرغبة ولا الإرادة الواعية في تفكيك خطابه وتوضيح مرتكزاته ومنطلقاته. فالفكر العربي المسيحي، تتداخل فيه الثقافة الإسلامية التي ينتمي إليها عند حدودها الخارجية، فلا ينفعل في حيوية عقائدها شعورًا وحيويًا ووجدانيًا. وفي الوقت ذاته ينتمي إلى عقيدة النموذج الأوروبي اللاتيني أو الكاثوليكي في تفاعله، ولو في حدّه الفكري.. ومن هنا جاء الفكر العربي المسيحي، الذي يرغب ويريد أن ينفصل عن التراث المغموس بعقيدة الإسلام... ولهذا فإن الارتباك الذي يصيب المفكر العربي المسلم في تناوله للموضوع، يقع في هذا الفخ المزدوج[١٩].

ويبدو المشهد، وكأنه يتعلق بتصور متخيل عن أوروبا، وبفكر منفصل عن الحضارة العربية لإسلامية، فضلا عن أنه فكر ولّده العنف الملتصق بالمشروع

الغربي في القرن التاسع عشر، والتأخر التاريخي العربي الإسلامي، وبوعي انفعالي إزاء نموذجين حضاريين: أوروبا الحاضرة واقعيتها وحضورها الفاعل والإسلام القدسي الغائر في ثنايا الرموز الماضية، تفكير في نهضة محلوم بها متخيلة وغير متحققة، في ضوء مرجعيات معيارية، متجنبًا تعقيد الواقع ومتطلعًا إلى نزعة إصلاحية متباينة الحدود، لتحاور حالة تقدم أصحابها بوصفهم مرتبطين بالمرجعية السلفية أو بالثقافة اللبرالية التحديثية أو حتى من اطمأن منهم إلى موقف انتقائي، فإن الرغبة الجامحة في إعطاء معنى للهوية العربية الإسلامية، اصطدمت في كل مرة، بقوة الآخر الغربي في أبعاده الفاعلة والمتخيلة والعربي الإسلامي في تعبيراته القدسية[٢٠].

ونطرح السؤال الذي يثير إشكالاً ثنائيًا: هل أن موقفنا من "الآخر" سواءً كان هذا "الآخر" سلفيًا أو أوروبيًا، مبنيًا على خلفية رؤية التراث العربي الإسلامي للآخر...؟ وهل الموقف من الآخر في الرؤية الإسلامية مبنية على المفهوم الاجتهادي الفقهي أم على تعاليم القرآن ذاته...؟

## المبحث الثاني

## صيانة القران الكريم من التحريف بعكس الكتب الأخرى واثر ذلك المفهوم على الهوية الإسلامية ويتضمن

### المطلب الأول

### الأدلة على صيانة القران الكريم من التحريف واثر ذلك على الهوية الإسلامية

في بداية مطلبنا يسئل البعض هل أن القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ بصورته الفعلية الموجودة حالياً؟ وما الدليل على صيانته من التحريف؟

فنجيب وبالله التوفيق: يجب الالتفات بداية إلى أن نغمة تحريف القرآن

الكريم يعزفها اليهود والنصارى دائماً؛ لأن التاريخ يثبت تعرض كتابيهما إلى التحريف وفقدانهما القيمة المتوخاة منهما. وانطلاقاً من ذلك فهؤلاء يعمدون إلى إلصاق تهمة التحريف بالقرآن الكريم لكي لا يشكل عليهما بتحريف التوراة والإنجيل(٢١).

إن التاريخ يثبت بالأدلة والأرقام أن نسخ التوراة تعرضت مراراً للتلف والإندراس نتيجة للحوادث التاريخية المختلفة، خاصة أثناء هجوم بخت النصر على اليهود، ثم قام بعض علمائهم بإعادة كتابتها لاحقاً.

كما أن التاريخ يشهد على أن الإنجيل الرباعي إنما دوّنه عدد من أتباع النبي عيسى عليه السلام بعد وفاته بمدة من الزمن، وعلى هذا الأساس، لا أثر للكتاب الواحد الذي نزل على المسيح عليه السلام.

ومن أسس كافة معارفه وأصوله الدينية على أساس هذه الكتب المحرفة التي فقدت قيمتها واعتبارها يرغب بإلحاق المصير نفسه بالقرآن الكريم ليستطيع القول: إن هذا الكتاب أيضاً طاله التحريف ولا يمكن الاعتماد عليه(٢٢).

هذا في حين أن طريقة جمع القرآن الكريم في جميع المراحل التاريخية تختلف تماماً عن طريقة جمع التوراة والإنجيل في الديانتين اليهودية والمسيحية.

إن التاريخ يؤكد على أنه لا وجود للإبهام والغموض في كافة مراحل جمع القرآن الكريم. وفي هذا الإطار لا بدّ من الالتفات إلى موضوعين هامين؛ إذ يتضح من خلالهما الإجابة عن كثير من الأسئلة، وهما:

١- إن القرآن الكريم عبارة عن كتاب أحدث انقلاباً عظيماً في كافة شؤون الحياة الاجتماعية للمسلمين؛ فنسف ماضيهم وصنع لهم حياة جديدة متقومة بالإيمان والمبادئ الإنسانية. بناء على ذلك، فالقرآن الكريم كان

له صلة بأهم شؤون حياة المسلمين؛ إذ كانوا يستمدون من هذا الكتاب السماوي سياستهم واقتصادهم وقوانينهم الأخلاقية، بل حتى آداب ورسوم المعاشرة الصحيحة في الأسرة. ويرتبطون به خمس مرات يومياً في صلواتهم؛ ومن هنا فهم يرجعون في كافة شؤون حياتهم اليومية إلى القرآن الكريم أولاً ثم السنة النبوية ثانياً[٢٣].

وفي هذه الحالة كيف يطال التحريف كتاباً امتزج بحياة الناس إلى هذا المقدار وكان المعول والمستند لهم في كل شاردة وواردة، ومع هذا لم يلتفت العوام أو الخواص إلى هذا التحريف؟

فاحتمال وقوع التحريف في القرآن الكريم دون علم أحد بذلك بمثابة احتمال أن يطال التحريف دستور أمة كبيرة وعظيمة دون أن يشعر أحد من أفرادها بذلك؛ فهل من الممكن أن يطال التحريف دستور أمة ما من دون أن يفهم أبناؤها بوقوعه وترتفع أصواتهم بالاستنكار والتنديد؟

إن دور القرآن الكريم في الحياة الاجتماعية للمسلمين يفوق بكثير الدور الذي يلعبه القانون الأساسي في حياة الشعوب المعاصرة؛ وعليه فان الأنظار كانت وما زالت متجهة إليه، وما إن يحدث فيه شيء من التحريف حتى تتعالى الأصوات وتبدأ ردود الأفعال المختلفة والاعتراضات المتوالية من كل حدب وصوب.

٢- إن تاريخ جمع القرآن الكريم، سواء في حياة النبي الأكرم ﷺ أم في الفترة التي تلته، والاهتمام الكبير الذي كان النبي ﷺ والمسلمون يبدونه تجاه حفظ وكتابة القرآن، كل ذلك يثبت أنه لا مجال لنقصان كلمة واحدة من كتاب الله المجيد[٢٤].

وقد ذكر في التاريخ أن هناك علماء مسلمين يصل عددهم إلى ثلاثة

وأربعين شخصاً كانوا متواجدين زمن النبي ﷺ وقد أمرهم بكتابة كل آية أو سورة بمجرد نزولها عليه، ومن ثم حظيت تلك الكتابات باهتمام المسلمين من بعده وحفظت على أكمل وجه ممكن.

وأشهر هؤلاء الذين أبدوا اهتماماً منقطع النظير بتدوين القرآن الكريم علي ابن أبي طالب عليه السلام وزيد بن ثابت، فكان المسلمون يحتفظون بنسخ عديدة من تلك المدونات حيث كانت تمثل لهم مرجعاً في القراءة والاستفادة من كتاب الله المقدس.

وفضلاً عن هاتين النقطتين، كان غالبية المسلمين يحفظون آيات وسور القرآن في قلوبهم، وكانوا يتوخون منتهى الدقة في الحفظ حتى لا يفرطون بكلمة واحدة منه. وكانت هذه الثلة من المسلمين الذين يطلق عليهم اسم "القراء" مرجعاً لآحاد المسلمين في القراءة والتلاوة[٢٥].

إن موضوع الاهتمام بحفظ القرآن الكريم وصيانته من التحريف كان على قدر كبير من الأهمية بين أوساط المسلمين، حتى أنه لما قتل عدد كبير من القراء في وقعة اليمامة في عهد أبي بكر عزم المسلمون على إبداء مزيد من الاهتمام بهذا الموضوع؛ ولأجل ذلك جمعوا كافة النسخ القرآنية الموجودة وأبرزوا عدم ارتياحهم من وجود تفاوت بينها، فقاموا بتوحيدها.

وفي عهد عثمان بن عفان جرى توحيد جميع نسخ القرآن الكريم ونسخت منه أربع نسخ أخرى وأرسلت الى المدن الكبيرة وأمر الناس بتوحيد مصاحفهم على ضوء هذه النسخ الأربع وجعلها اساساً في القراءة.

وبلغ اهتمام المسلمين والقراء على وجه الخصوص بحفظ وصيانة كتاب الله المجيد من التحريف الى درجة أنه نشب خلاف بين أبي بن كعب وعثمان بن عفان (خليفة المسلمين إذ ذاك)، بشأن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فقال الخليفة: إن الوحي الالهي النازل هو "الذين" بدون واو؛ فيجب حذف الواو من جميع نسخ القرآن. لكن أبي بن كعب أصرّ على أن القرآن الذين سمعناه من رسول الله ﷺ هو ما موجود بين دفتي الكتاب. ثم اشتدت حدة النزاع بينهما؛ فنهض أبيّ حاملاً سيفه على عاتقه وهو يصيح: من أراد حذف هذا الحرف من كتاب الله فاني أخمد سيفي هذا في صدره وأريق دمه. فأدت شجاعة أبي بن كعب الى تراجع الخليفة عن كلامه(٢٦).

ولما يفضي الاختلاف على حرف واحد الى هكذا نزاع عنيف، أيمكن الادعاء أن القرآن الكريم طاله التحريف وحذفت منه بضعة آيات؟

وبالإضافة إلى ما قيل آنفاً حول عدم إمكان تحريف القرآن، فانه قد صرح القرآن نفسه في عدة موارد منه بعدم التحريف وأن كتاب الله سيصان من التغيير والتلاعب؛ إذ قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، كما أجمع علماء الإسلام في كتب التفسير على أنه لم يجر على القرآن الكريم أي لون من ألوان التحريف.

وإذا ما وجد أحد علماء الإسلام قد ذهب إلى تحريف كلام الله تعالى فذلك ناتج عن بعض الأحاديث الموضوعة التي دسها بعض المغرضين في كتب الحديث؛ وإلا فلا قرينة في القرآن نفسه على زعم هؤلاء. وبدهي أن هذا الصنف من الأخبار ساقط عن الاعتبار، أو إن هذه الشبهة نتجت عن أخبار لم يستطيعوا كشف مرادها الواقعي(٢٧).

وعلى كل حال، فقد ألّف عدد من كبار علمائنا كتباً حول هذا الموضوع أثبتوا فيها بما لا يقبل الشك عدم إمكان طرو التغيير والتحريف على القرآن الكريم، فمن يرغب بمطالعة الأدلة التي تثبت استحالة التحريف بوسعه مراجعة الكتب الكثيرة المدونة في هذا المجال.

وأخيراً فان الأخبار التي تدل على وجود قرآن لدى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يختلف عن كافة النسخ القرآنية الأخرى، لا تتناقض مع أخبار ومبدأ عدم التحريف؛ لأن القرآن المذكور كما صرح العلماء الأعلام بذلك يشتمل على شرح لنزول الآيات وتفسيرها المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فالفارق بينه وبين سائر النسخ القرآنية الأخرى من هذه الناحية فقط لا في أصل النصّ القرآني الموجود في الجميع[٢٨].

## المطلب الثاني

## الأدلة على قيام أهل الكتب الأخرى بتحريف نصوصا من كتبهم وعلاقة ذلك بالهوية الإسلامية

### تحريف أهل الكتاب للتوراة والإنجيل:ـ

إن أهل الكتاب وعلماءهم حرفوا التوراة والإنجيل لتحقيق أهدافهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكتبوا كتبا خاصة بهم. وقد سمعت في إحدى القنوات أحد رجال الكنيسة المسيحية في هذا الشهر يقول: إن المسيح كلمة الله ولسنا في حاجة إلى كتاب. وسمعت من يقول منهم أن المسيح عيسى بن مريم هو الرب فهذا ناتج عن تزوير وتحريف كتابي الله التوراة والإنجيل وإنكار نزولهما من طرف البعض وهذا كذب على الله تعالى الذي خلق موسى وعيسى بن مريم وأنزل عليهما التوراة والإنجيل لتبليغهما للناس كل حسب الفترة الزمنية التي أرادها له الله عز وجل.

والأدلة على تحريف أهل الكتاب للتوراة والإنجيل كثيرة منها البقرة ٧٥ " ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ والبقرة ٧٩ ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٢٩] ".

و آل عمران ٧٥ ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فما كتب النصارى واليهود من أناجيل وتوراة محرفين شرع الله لا يمكن قبوله ولا يمكن اعتباره توراة أو إنجيلا. وآل عمران ٧٨ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ والنساء ٤٥ – ٤٦ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ۞ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ والأنعام ٩١ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

و المائدة ٧٠ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ البقرة ٢١١ ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ونعمة الله في هذه الآية هي التوراة التي حرفها اليهود والمائدة ١٣ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...﴾ والمائدة ١٤ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ وهذا كلام الله تعالى وإخباره عن تحريف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل و هو الصدق والحق(٣٠).

والمائدة ٤١: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾... وإبراهيم ٢٨ – ٣٠ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۞ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾.

فنعمة الله تعالى في هذه الآية هي التوراة والإنجيل وقد حرفهما اليهود والنصارى لتحقيق مصالحهم المالية والاجتماعية والسياسية. و قد أخبرنا الله تعالى عن هذه الحقيقة في التوبة ٣٤ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

لهذا قال الله تعالى عن تجاهل أهل الكتاب وإنكارهم شريعة الله المنزلة إليهم في سورة الجمعة ٥ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٣١]. فالحمار يحمل الكتب على ظهره ولكنه يجهل ما فيها. فكذلك أهل الكتاب تركوا شرع الله المنزل عليهم قبل القرآن واتبعوا ما كتبه علماؤهم بشكل يخالف التوراة والإنجيل الأصليين. ونفس الملاحظة يمكن قولها بالنسبة للذين يدعون الإسلام ويتصرفون بسلوك خاص بهم مخالف للقرآن الذي يحتفظون بمصاحفه في مكتباتهم وسياراتهم ومنازلهم بل هناك منهم من يحفظ القرآن عن ظهر قلب و لكن لا يفهمه و يعمل ما يخالف أحكام القران. و استدل بواقعتين من كثير من الوقائع وقعتا الشهر الماضي و هما على سبيل المثال، شاهدت رجلا يقرأ القرآن في المسجد بعد صلاة الفجر عدة مرات و لكنه يتجول نهارا أمام الملأ مع ابنته البالغة و هي متبرجة. و هناك إمام مسجد تابعته الشرطة القضائية لاغتصابه طفلا من الأطفال الذين يحفظهم القرآن رغم أنه يعلم أن القرآن حرم إتيان دبر الذكر و الأنثى و حرم الزنا و تبرج المرأة. بل منهم من ينادي باتباع أقوال وأفعال نسبت كذبا للرسول محمد عليه صلاة الله وسلامه ومخالفة للقرآن. ومنهم من يمجد الرسول بدرجة اعتباره في مرتبة إله مقدس بينما هو بشر من الناس بعثه الله رسولا لتبليغ شرع الله القرآن وهو مثل الناس عبد من عباد الله تعالى وملزم بأحكام ما كلف بتبليغه لهم وسوف أبين الأدلة على ذلك فيما بعد ومنها الكهف ١١٠ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ

يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وآل عمران ١٤٤ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَائِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ وآل عمران ٨٠ ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٣٢].

وأتابع إخبار الله تعالى ومعاتبته لأهل الكتاب عن تحريفهم للتوراة والإنجيل والأدلة الصف ٧ – ٨ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلاَمِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾" عبارة ليطفئوا نور الله بأفواههم مجازية. والمعنى الحقيقي أن اليهود والنصارى يكذبون على الله ويتقولون عليه الكذب ويحرفون كلام الله وشرعه لكن لا يطبقوا شرع الله الحق وهو القرآن ولكن لا يؤمن به الناس ولكن قدرة الله تعالى فوق اليهود والنصارى وغيرهم فقد حفظ الله تعالى القرآن الذي اتبعه فعلا المسلمون والدعوة الإسلامية قائمة والحمد لله رب العالمين[٣٣].

وهناك المائدة ١٥ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾. هذه الآية دليل قاطع من الله تعالى عالم الغيب والشهادة بما تخفي وتعلن كل نفس بشرية على تحريف أهل الكتاب للتوراة والإنجيل. و الآية الكريمة دليل قاطع على أن القرآن منزل لكافة الناس ومنهم أهل الكتاب. قال لهم الله عز وجل بان محمد بن عبد الله رسول للنصارى واليهود مثل كافة الناس وأن القرآن، وهو نور الله تعالى كتاب منزل للنصارى واليهود وكافة الناس ولا يجوز شرعا وعقلا الالتزام بالقرآن والتوراة والإنجيل في آن واحد لأن القرآن هو الحق. و عبارة يعفو عن كثير الواردة في المائدة ١٥ دليل على إلغاء القرآن وإبطاله لكثير من الأحكام الشرعية التي وردت في التوراة والإنجيل و غيرهما. فاطر ٣١ ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾. ولا يجوز اتباع الشرع الذي فرضه الله وهو القرآن والشرع الذي أبطله الله تعالى وألغاه وهو الشرائع السماوية السابقة للقرآن ومنها التوراة والإنجيل و ما كتبه علماء أهل الكتاب بشكل محرف لتحقيق أغراضهم ومصالحهم الخاصة الغير المشروعة. التوبة ٣٤ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾" وقد بين الله تعالى في القرآن بعض أوجه هذا التحريف والدليل التوبة ٣٠ – ٣٢ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ والمائدة ١٧ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ والمائدة ٧٢ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ و قد أمر الله تعالى في شرائعه بعبادته وحده والدليل آل عمران ٧٩ ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وآل عمران ٨٠ ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ والأنبياء ٢٥ ﴿أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾. فالنصارى يدعون أن المسيح عيسى بن مريم قد صلب و قتل فإذا كان ربا لهم كما يدعون فلماذا صلب وقتل. إذن ليست له قدرة على حماية نفسه فبالأحرى نفع أو ضر الناس. هذا دليل على أنه لا قدرة ولا حول له ولا تصرف له في الكون فأين هو وما مظاهر تصرفه. الواقع أنه مخلوق من مخلوقات الله تعالى وعبد من عباده طبق عليه قانون الله

تعالى حيث توفاه فمات وأحياه وبعثه كالأموات ورفعه الملكان عند الله في أرض الجنة و النار بالسماوات. وقد كذب الله ادعاء النصارى بعدة آيات راجع البحث الذي أنجزته حول موضوع من هو الله تعالى وأين هو المنشور في موقعي بالانترنيت لتتأكدوا بأن الله وحده لا شريك له خالق الكون وما فيه ومنه المسيح عيسى بن مريم وهو مدبر أمور الكون وما فيه.

فالأديان التي ابتدعها النصارى واليهود قائمة على الشرك بالله وتحريف التوراة والإنجيل والكذب على الله والدليل آل عمران ٢٣ - ٢٥ ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. في هذه الآية وآيات أخرى أكد الله تعالى بان الدين السماوي الوحيد المشروع هو دين الإسلام وشريعته القرآن وكل الأديان التي وضعها النصارى واليهود والبوذيون و الهندوس وغيرهم أديان كفر وهي محرمة وكل من اتبعها مصيره عذاب الله ونار جهنم فلهذا قال الله تعالى الكافرون ١ – ٦ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ غافر ٦٦ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فالقرآن ليس من كتابة الرسول أو الصحابة و غيرهم بل هو وحي من الله تعالى أنزله على رسوله محمد بن عبد الله عليه وعلى كل الرسل صلاة الله وسلامه قد كتبت آياته ورتبت حسب ما أراده الله تعالى لأن جبريل هو الذي أمر بكتابة القرآن وترتيبه بأمر من الله تعالى ووافق عليه كما هو بين أيدينا. و المصحف القرآني واحد وتوزع منه الملايين من النسخ في العالم والدليل الإنسان ٢٣ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ والبروج ٢١ - ٢٢ ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۞ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ وقد

حفظ الله تعالى القرآن من التزوير والتحريف والدليل الحجر ٩ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣٤].

والقرآن نسخ به الله تعالى كل الشرائع السماوية وذلك ما أبين أدلته في النقطة التالية:

## المبحث الثالث

## موقف القران الكريم من أهل الكتب الأخرى وموقفهم منه ويتضمن

### المطلب الأول

### موقف القران من أهل الكتب الأخرى وموقفهم منه واثر ذلك على الشخصية المسلمة

النص في الإسلام، مصدراً للرؤية وقاعدة للجماعة. "فهو الفصل وهو الحكم، وهو المأدبة والغذاء اليومي لهؤلاء الذين التفوا حول النبي البشر بل إن النص القرآني يمثل الجذر الذي قامت عليه الجماعة الإسلامية، وتأسست في رحابه الأمة"[٣٥].

فبرهان غليون يرى ان النص القرآني المقدس أحدث، بما ترافق معه من تدخلات وامتدادات، ثورة فعلية في الوعي والمجتمع والتاريخ.. فقد عجّل النص القرآني بما ترافق وتدخل معه طفرة جعلت من الدين التوحيدي ثورة في الوعي الديني ذاته، أي إعادة تنظيم وتجديد للفاعلية الدينية وللتجربة الدينية"...

فالقرآن لا يفرض حلولًا نهائية للمشاكل العلمية التي يواجهها الوجود البشري بل يستهدف إحداث نوع من النظرة لدى الإنسان حول ذاته والعالم، والآيات التي تمثل لكل الناس - وليس المسلمون فقط بالمعنى الدقيق للشهادة

- أفقًا ميتافيزيقيًا كما يرى ذلك "محمد أركون" الذي يلجأ إلى التمييز بين "الواقعة القرآنية" و"الواقعة الإسلامية" لأن القوى الكامنة في الدين تتجاوز اعتبارات الزمن وملابسات التاريخ، وتترك آثارًا ورموزًا تحيل على المستوى القدسي في الدين.. أما "الواقعة الإسلامية" تترجم هذه الرموز بأشكال وصور مختلفة، في صيغة علاقات ومؤسسات وأنماط وسلوك بشرية تفعل فعلها في الحياة العينية للناس.. فالاحتكام إلى العقل وحده، قد يضيع فرص الإحاطة بجوانب أخرى لا تستجيب ضرورة لعملياته وقواعده، والخطاب الديني باعتباره أيضًا، مجالاً للتخيل يصعب اختزاله في مقولات صارمة في عقلانيتها[٣٦]..

تتميز علاقة الذات بالآخر بنوع من الإشكالية، إلا إذا كان للذات ثوابت وأصول وقنع الفكر إلى ثوابته هذه، ورضي عن أجوبته، أو حينما يرضى بتسليم مقوماته للآخر، ويتنازل عن إرادته للقوة.. أما عندما تتعبأ الذات للتعبير عن تفاصيل وعيها، وعن إرادة مختلفة للقوة، فإن السجال والتوتر والمواجهة تغدو ما يميز العلاقة مع الآخر.. وإذا كانت الذات لا تتماهى، تمامًا، مع ذاتها، فإن الآخر، ومهما كانت درجة تكتله وتوحّده، لا يمثل كيانًا كليًا بالضرورة، فالآخر بوصفه اختلافًا دينيًا، أو ثقافيًا، يشكل أفقًا للذات، وأحيانًا جزءًا من النظرة إلى الذات، سواءً تقدم باعتباره شريكًا مسالمًا، أو في هيئة كيان غاز، أو في صفة محتل متغطرس أو مفاوض مهادن، او تقدم إلى مساحة الوعي كاختلاف جسدي أو ثقافي... الخ. المهم ان الآخر حاضر، وبكيفية وجودية، في المجال العام للوعي بالذات، ولذلك فهو يمثل، وبشكل مفارق أحيانًا، موضوع إغراء ومصدر حذر وحيطة في نفس الآن.. يبدأ الآخر حين يبرز الوعي باختلافي، وينتهي عندما نعترف، هو وأنا بكوننا نشكل ذواتًا مغايرة (بول ريكور - الغرب المتخيل ٥١).

**رسالة القرآن الكريم في رعاية المختلف:**

لقد حدّد القرآن الكريم وقام بتصنيف كل الجماعات التي احتكت فيها المسيرة النبوية، وحدد منها موقفًا، ومنحها مواقع واضحة التحديد داخل التشكيلة الاجتماعية والعقائدية الجديدة.. ف"المخلّفون" و"المنافقون" و"المؤمنون" و"أهل الكتاب" بيهودييهم ونصرانييهم، والمهاجرون والأنصار والكفار والمشركون والأحزاب... الخ. جماعات وفرق شتى جعلها القرآن تتحرك داخل مسرح الأحداث الذي بناه الإسلام ضمن التصور الكلي الذي صاغه للآخر. ومهما كانت الضغوط المادية والواقعية التي تحكمت في تكوين هذا التصور فإن الخلفية الدينية الموجهة للنظر، والانتماء السلالي للإرث الرمزي الإبراهيمي والنمط الدرامي في السرد القرآني، كل ذلك جعل من الرؤية القرآنية للآخر والمختلف جعلها تقوم على علاقات واضحة تغذي المتخيل بصورة بارزة[٣٧].

إن الأمر والدعوة المستمرة للتفكير والتعقل والتدبر والتأمل جعلها القرآن في مرتبة الفرض، إن هذا النشاط الذهني والعقلي في التفكر والتدبر داخل المتن القرآني تسمح لنا بالقول بأن الموقف من المختلف والاختلاف بشكل عام تحكمه مقاييس تخضع لضوابط العقل - بالمعنى القرآني - أم أن الجهاز الرمزي الذي يشغله الخطاب القرآني يطغى على حيثيات الرؤية ليجعل من التخييل عنصرًا حاسمًا في إدراك الآخر[٣٨]..؟

إن التنظيم "المجازي" للخطاب القرآني ليس من الإنصاف اعتباره مجرد تسام للواقع. أو التعالي عن التاريخ الأرضي في اتجاه أحداث رمزية خالصة... ومن جهة أخرى فليس هو مجرد ديكور أدبي، او محاولة مقصورة على تزيين العبارة. والتي تبقى عينية ودالة على نحو مباشر.. إنه (الخطاب القرآني) يمثل انتفاضة الحياة من خلال الطاقات الجمالية للغة، وهو يواكب دومًا.. الأحداث

التأسيسية للجماعة الإسلامية الاولى بمكة والمدينة. ومن جهة ثانية فالسؤال المطروح يفترض ويتطلب وقفة خاصة عند موقع العقل في الخطاب القرآني.. حيث ان أكثر الدارسين لهذا الخطاب، أو للفكر الإسلامي عمومًا، يعطون أهمية مميزة لمضمونه العقلاني. فالألفاظ والتعابير الواردة في القرآن العظيم مثل: عقل، عاقل، معقول، تعقل، يعقل، تفكر، تدبر، تذكر، وتعلم وعلم... لخ توحي كلها، بكون الخطاب القرآني يرفع من شأن العقل على حساب الملكات الأخرى للإنسان. لا شك أن هذا الخطاب يدعو المرء إلى التعقل والاحتكام لأداة العقل ونشاطه في فهم آيات الله حول الكون والإنسان، الحياة والموت، الإيمان والكفر... الخ. هذه الدعوة من دعوة كانت خالصة وثابتة في حقيقة مكانتها والمساحة الكبيرة التي تحتلها من دعوة الخطاب القرآني، إلاّ أن محمد أركون يراها تندرج بشكل محايث، ضمن "متخيل ديني" تحركه تصورات متعالية تمثل اللغة الدينية مرتكزها الوحيد. أي أن هذه التصورات المستبطنة في الوقت الذي يتم استحضارها من خلال التذكر اللغوي والتكرار الطقسي، تمنح للتخيل قدرة دائمة على دمج كل الموضوعات العينية أو الذهنية المعطاة للإدراك داخل رؤية منسجمة(٣٩).

فالمتخيل الديني، الذي من خلاله يتم التقاط الأشياء وإدراك الآخر.. يتقدم باعتباره مجموع الاعتقادات المعطاة للإدراك والتفكير والعيش، واتخاذها بوصفها اعتقادات حقيقية لا مجال لإخضاعها للتفهم النقدي بالمعنى الوضعي لتدخل العقل.. ولأن الدعوة الإسلامية واجهت واقعًا فسيفسائيًا من النواحي الاجتماعية والعقائدية، فإن الهواجس التنظيمية كانت لها، ولا شك، اعتبارات خاصة، بحكم الاستراتيجيا المتوازنة التي نهجها النبي، بين المجادلة والإقناع بفعل الدفق القرآني، وبين أساليب ترجمة الرسالة إلى واقع قائم، حتى ولو اعتبر بعضهم أن موقف الإسلام من الآخر أملته اعتبارات "من

طبيعة عملية" كما ذهب إلى ذلك مونتغمري واط. لأن الفوران الديني، والشغف العارم الذي حرك المؤمنين الذين اعتنقوا الإسلام جعل المتخيل الديني يكتسح كثيراً من مستويات الحياة الاجتماعية ومنها النظر إلى الآخر سواءً بوصفه اختلافًا دينيًا أو باعتباره خارجًا عن الحكم الديني. وعلى العموم وانطلاقًا من كل ما تقدم يمكن القول(٤٠):

١- أن الرؤية القرآنية للآخر تتحدد في المخيل الديني العام على أساس وحدة الانتماء الإنساني أولاً.

٢- وعلى أساس من العقيدة والفكر والثقافة التي تفرزها هذه العقائد.

٣- الاختلاف والتنوع والتميّز كقاعدة أساسية وخصوصية إنسانية..

وهكذا يتجلى في الخطاب القرآني الاختلاف العرقي واللغوي ومن ثم الاجتماعي والديني ويلحق ذلك إقراراً في اختلاف الآراء والأفكار. وإنطلاقًا من هذه المفاهيم فإن الخطاب القرآني يدعو إلى التواصل والتعارف، بكل ما يفترض ذلك من نبذ للتعصب ولإرادة ورغبة الإلغاء (محمد نور الدين إفابة، الغرب المتخيل ٧٨).

وهذا يجعل من الاستنتاج الذي يرى ان الإسلام وعلاقته بالآخر تقوم على مفهوم الثنائية حقيقة: فهو ينظر إلى الوجود على أن هناك وجود ديني (يهودي - نصراني - إسلامي - صابئي) وهناك وجود جحودي إنكاري. وهناك "الآخر" على قاعدة الديني، وهناك غير الديني المنكر الكافر بالله - تعالى، ومن بين الكافر هناك المحارب العدو، وهناك المسالم الموادع وهناك من دخل في عهد المسلمين.

فتسويغ القول بالتمايز والاختلاف يتأسس على قواعد تقوم على آيات قرآنية عديدة ومتنوعة:

١- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة ١٥٦) حيث تبين الغي من الرشد.. ويقر القرآن الكريم، أن لكل إنسان الحق في أن يتخذ لنفسه "شرعة ومنهاجًا" خاصًا به[٤١].

٢- وأن الإنسان حر الاختيار وحر في إرادته فلا يحق أن يُلزمه أحد على ما يكره ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (هود ٢٨) وقوله تعالى وهو يخاطب نبيه ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس ٩٩).

٣- وكل إنسان يحمل جريرة عمله، ولا يحاسب احد عن أحد لأن لكل إنسان الحق في حرية ما يختار من أجل ذلك فإن كل إنسان ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ (الإسراء ٨٤) وقول الحق ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر ٣٨) وكذلك ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم ٣٩) وكذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (فاطر ١٨) وقول الحق تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ١٣٤، ١٤١).

٤- ولطالما أقر القرآن مبدأ الاختلاف وضبط العلاقة مع المختلف والتي تقوم على مبدأ الحوار والجدل. فقد تأسس على هذه التعاليم علاقات متبادلة وتأسست أخلاقيات التعارف والتساكن: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾ (الحجرات ١٣).

٥- والخطاب القرآني يدعو الناس كل الناس مؤمنهم وكافرهم ويحضهم على أن يدخلوا في ﴿السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (البقرة ٢٠٨) ويأمرهم كذلك بإقامة أخلاقيات الحوار والجدل بالتي هي أحسن، وان يقيموا حوارهم على قاعدة "العدل" فإن الله ﴿يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل ٩٠) والقاعدة

القرآنية تؤكد: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون٦).

٦- وعلى الرغم من أن الخطاب القرآني يدعو المسلمين إلى معاملة "الآخر" بالمثل لكنه يؤكد على مبادئ العفو والصفح والمسامحة، فهي أكثر خيراً وأفضل من المعاملة بالمثل ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى ٤٠) وكذلك قوله: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة ٢٣٧) وقوله: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التغابن ١٤). وقول الحق: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل ١٢٦). ثم إن الدعوة ينبغي أن تكون: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (النحل ١٢٥).

يتبين مما سبق ان هناك تأسيس لفلسفة حقيقية للتذاوت بين المسلم والمسلم، بين المسلم وأهل الكتاب، وبين مختلف الجماعات الأخرى. تحكم هذه الفلسفة خلفية دينية، تجعل من الدين العنصر الحاسم والمحدد في النظر إلى "الآخر". فإذا كان الوعي بالذات يفترض استحضار الغير في انسجامه وتخالفه.. فإن الخطاب القرآني، شيّد تصوراً للاختلاف داخل سياق رمزي واجتماعي وسياسي، تميّز بدرجات عالية من الجاهزية في علاقته مع الآخر. فالهوية الإسلامية بنيت على أساس من المعايشة والمساكنة مع الآخر، بحيث كل فرد له حرية اختيار ما يريد.. وقد رأينا أن المفهوم القرآني قد تأسس على أهمية الحوار والجدل الراقي بالأساليب الحسنة، ولم يؤسس خطابه على المواجهة والضدية، وهذه العلاقة والتي قد تبدو للبعض على أنها علاقة تقوم على المواجهة، تمت صياغتها داخل رأسمال رمزي يلعب فيه التصوير الفني والأسلوب البلاغي والأداء التخيلي دوراً كبيراً في عملية إدراك العالم والآخر (الغرب المتخيل ٧٩). ولكنه يتراجع حين يقول أن التصور القرآني للآخر

مركب من حيث الإحالات والسياقات والرموز، ولهذا السبب فهو قابل لأكثر من تأويل، ويتوافق مع أكثر من رأي.. لكن مضمون الآيات القليلة التي أوردنا في هذا الباب وهي قليل من كثير، واضحة كل الوضوح في تأسيس علاقة المسلم مع "الآخر" وقد رأينا انها تدعو إلى الحوار والجدل بالتي هي أحسن وتطالب المسلمين بانتهاج مبدأ التسامح والعفو مع المسيئين لهم. فكيف يقال بعد ذلك "أن الهوية الإسلامية تأسست ضد الآخر[٤٢]"...!!!؟

**المناظرة والجدل بين أهل الكلام والنصارى:**

اتخذ الجدل الكلامي الإسلامي مع النصرانية أشكالاً من السجال الفكري ولّد نمطًا فكريًا فريدًا نعت بالمناظرة.. لا شك ان لهذه المهارات النظرية إنشغالات إسلامية - إسلامية، دشنتها فرق تختلف في تفسير بعض النصوص وفي تأويل دلالاتها ومقاصدها.. فالمناظرة، إذن تشير إلى ذلك الجدل الفكري الذي يتخذ من الموضوعات اللاهوتية والتشريعية موضوعًا له. كما يحيل أيضًا، في السياق الثقافي الإسلامي، على جنس أدبي له شروطه وآليته ومقاييسه... وهكذا فقد ظهرت صنوف من الخطابات تقرّ بالمناظرة منهجًا فكريًا مثل: "خطاب التهافت" و"خطاب التعارض" و"خطاب الردّ" و"خطاب النقض" وما إلى ذلك. وقد مورست هذه النشاطات في مجالات مختلفة ففي الفقه كان "باب الخلاف" و"النحو" و"باب القياس" وفي الأدب "النقائض" وكذلك كان باب الرد على النصارى.. وهكذا فإن "المناظرة"، هي نمط من التأمل والتفكير تتخذ من النظر وسيلة وآلية لإعمال العقل والمحاججة والمجادلة. وفضلاً عن كون فعل "نظر" يفترض تضمنه لنظرة أو رؤية ما، فإنه يفيد نوعًا من الدراسة باعتبارها نشاطًا للعقل ولفعل التفكير والتبصر والتدبر، ولهذا السبب نعت علماء الكلام، بأهل النظر.. ولما كان الجدل مع النصارى يقوم على قضايا كلامية لاهوتية، فإن هذا الجدل حتى وإن اندرج ضمن حقل

ديني عقائدي، فإنه يعبر بكيفيات متنوعة عن مستوى فكري ونظري يمنح للاختلاف مع الآخر بعداً فكرياً أكيداً[٤٣].

والدارس لن يجد في لغة من اللغات ورود مفردات تفيد معاني الحوار والمناظرة كما تتوفر في اللغة العربية التراثية مثل: "المناظرة" و"المحاورة" و"المخاطبة" و"المجادلة" و"المحاججة" و"المناقشة" و"المنازعة" و"المذاكرة" و"المباحثة" و"المجالسة" و"المفاوضة" (في معناها القديم) و"المراجعة" و"المطارحة" و"المساحلة" و"المعارضة" و"المناقضة" و"المداولة" و"المداخلة" وغير ذلك.

## المطلب الثاني

## الرد على بعض الشبهات المثارة حول القران الكريم

أولاً: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.

روي ان النبي قال لأبي طالب لما حضره في الوفاة: قل كلمة أحاج لك بها عند الله. فأبى، فقال: لا يزال استغفر لك ما لم انه عنه. فنزلت، وقيل لما افتتح مكة خرج الاى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا، فقال: اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار فلم يأذن لي، وانزل علي الايتين فهنا يثير المغرضون الشبهة مره يأمره بالاستغفار ومرة يزجره عنها وما ابعد التناقض فيهما[٤٤].

نجيب وبالله التوفيق:

١- ان في اللغة الاب تشمل الوالد والعم والدليل في قصة سيدنا يعقوب عندما خاطب بنيه ماذا تعبدون من بعدي قالوا ربك وربك آبائك

إسحاق وإسماعيل.

٢- وإذا كان العم من أهل الكفر والفساد ليس ذنب النبي فالإنسان مخير.

**ثانياً:** قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۞ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾.

ولكن يكون لجميع المسلمين حرج إذا اخذوا نساء ادعيائهم بعد ان ينقضوا منهن مرادهم. فكيف سلغ لمحمد ان يمد عينيه ويشتهي امرأة زيد، اقرب الناس إليه؟ وكيف يدعي في مجلس العرب بغير ما في نفسه، ويستعدي جبرايل على زيد ليحرموه من زوجته ليأخذها لنفسه! وبدل ان يندم ويستغفر يسبح الله ويقول سبحان الله مقلب القلوب؟ وهل يليق بجبريل الطاهر ان يوافق هوى محمد ويجعل هذا الاغتصاب سنة ويرفع الحرج عن جميع المؤمنين إذا ما اتوا مثل هذه الفضائح ؟ ولهذا المنطق الأخلاقي كانت زينب تتباهى على سائر نساء النبي قائلة: ان الله تولى أنكاحي وانتن زوجكن أولياؤكن(٤٥).

نرد عليه وبالله التوفيق:

١- ليس من الصلب لذلك لا يستحق في الورث والنسب ويبقى أجنبي عن المربي وكان العرب الجاهلية قبل الإسلام يعتبرون المتبنى داخل في النسب والورث فأراد النبي ﷺ ان يطبق الأمر الإلهي في شكل نظري وعملي فطلب من زيد ان يطلق امراته وثم تعتد ويتزوجها.

**ثالثاً:** قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

ونحن نسأل: كيف يكون محمد نبيا وقد خضع لسطوة الشيطان، فتارة يذهب عقله بالسحر، وتارة يلقي على لسانه ايات شيطانية كالتي قالها في سورة النجم؟ لهذا اتهمه أعداؤه بأنه مجنون، فدفع عن نفسه هذه التهمة في ايات كثيرة كقوله: ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ... وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ سورة القلم (١، ٢، ٥١). اين هو من موسى الذي غلب السحرة؟ اين هو من المسيح الذي اخرج الشياطين وأقام الموتى؟ وان كان في إمكان جبرائل فك سحره وشفائه فلماذا تركة ولم يأته الا بعد ستة شهور او سنه؟ وكيف يؤتمن مثله على اقوال الوحي. لذلك قال له إلهه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (الاعلى:٦٥)[٤٦].

نجيب وبالله الحمد:

السحر هو طاقة ما وراء الطبيعة (يارا سايكلوجي) فهي تؤثر في الكل من ثبات وجواز واشادة مثل الحسد فاذا تعرض لهما النبي ﷺ هذا لا ينقص في ثبوته ثانيا تعليما للمسلمين.

## الخاتمة:ـ

حين يندمج المجتمع المسلم مع مبادئ وأسس العقيدة الإسلامية ويمتثلها واقعاً ومنهج حياة، يكون هذا المجتمع بهذه الصورة المفاهيميَّة معبِّراً عن مصطلح الهوية الإسلامية، والهوية تقوم على أربعة أسس وعناصر(العقيدة ـ التاريخ ـ اللغة ـ الأرض) فإن تكونت هذه العناصر الأربعة في الأمَّة المسلمة عبَّرت بمجموعها عن الهوية الإسلامية المقصودة.

ولهذا كانت أمة الإسلامية خير أمَّة أخرجت للناس كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، وخيريَّة هذه الأمَّة نابعة من استقلاليتها التشريعيَّة والعقائديَّة والسلوكيَّة عن غيرها من الأمم الأخرى.

قد تضعف الهوية الإسلامية لدى بعض المجتمعات دون بعضها الآخر، ولكن أنَّ تذوب الهوية فهذا لا ولم ولن يكون، لأنَّ هذا الدين محفوظ بحفظ الله وقد تكفل الله به.

نعم! هنالك متربصون يتربصون بهويتنا الإسلامية وأمتنا الدوائر كما قال تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾، وهنالك تقارير معاصرة صدرت يتضح منها تمام الوضوح أنَّ أعداء الإسلام يريدون محق الهوية الإسلامية الصحيحة وإزالتها، ولو قلَّبنا صفحات تقرير من تلك التقارير كتقرير مؤسسة راند الذي يصدر تباعاً في كل سنة وقرأنا خططهم لعلمنا تلك العداوة الحقيقية لهويتنا العربية والإسلامية بشكل واضح.

## هوامش البحث

(١) محمد نور الين أفاية: الغرب المتخيّل،المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١،٢٠٠٠ ، ص٩.
(٢) المصدر نفسه: ص١٠.
(٣) محمد عابد الجابري: مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص٧.
(٤) المصدر نفسه: ص٩.
(٥)الغرب المتخيل، مصدر سابق ص١٢، ١٣.
(٦) المصدر نفسه: ص١٥.
(٧) محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٢ ص١٩.
(٨) الغرب المتخيل، مصدر سابق ص٢٠.

(٩) محمد عابد الجابري: الغرب والإسلام، الأنا والآخر، أو مسألة الغيرية – فكر ونقد، العدد ٢، ١٩٩٧، ص٥.
(١٠) المصدر نفسه: ص٧.
(١١) احمد عبد الباقي: النتيجة العصرية في المطارحات القرانية،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٤٤.
(١٢) المصدر نفسه:ص٤٥.
(١٣) راغب حاتم احمد: الهوية الاسلامية والخطر عليها في الوقت الحاضر،دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٩٩م،ص٣٣.
(١٤) رضا عبد الله جاسم: الهوية الاسلامية في المفهوم الحديث، مقالة في مجلة القبس، العدد ٤، ٢٠٠٥م،ص١٣.
(١٥) حاتم محمد علي: ثوابت الهوية الاسلامية،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٧م،ص٢٩.
(١٦) المصدر نفسه:ص٣٠.
(١٧) ناظم محمد العزاوي: الخطر المحدق بالثقافة الاسلامية،دار المحجة البيضاء،النجف الاشرف، ط١، ص٦٦.
(١٨) رضوان السيد: الأمة والجماعة والسلطة، دراسات في الفكر السياسي العربي والإسلامي، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٤،ص٩.
(١٩) المصدر نفسه: ص١٤.
(٢٠) ناصر مكارم الشيرازي: النصرة للهوية الإسلامية، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ط٢، ٢٠٠٤م، ص٢٣.
(٢١) مشتاق رافع العامري: الثقافة الإسلامية في مفهوم الشهيد محمد باقر الصدر، مقالة منشورة في مجلة العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ٢٠٠٩م.
(٢٢) المصدر نفسه.
(٢٣) عبد الله الزناجي: تاريخ القران،دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ط١، ص٧٥.
(٢٤) المصدر نفسه:ص٧٦.
(٢٥) محمود غانم قدوري: علوم القران، دار النهضة، بغداد، ط١ ،١٩٩٣م، ص٧٢.
(٢٦) المصدر نفسه: ص٧٥.
(٢٧) طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ط٢، الدار البيضاء، ٢٠٠٠: ص٦٩.
(٢٨) المصدر نفسه: ص٧٥.
(٢٩) المصدر نفسه: ص٧٦.

(٣٠) د. سـعود الخلـف: دراسـات في الأديـان اليهوديـة والنصـرانية"،دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ١٩٩٨م، ط١،ص ١٦٤.

(٣١) المصدر نفسه:ص١٦٥.

(٣٢) يـونس احمـد خالـد: تنـوير الافهـام في مصـادر الاسـلام،دار الكتـاب العربـي، بـيروت، ٢٠٠٤م، ص٦٥.

(٣٣) المصدر نفسه:ص٦٧.

(٣٤) سـعيد عبـد الفتـاح عاشـور: أضـواء جديـدة علـى الحـروب الصـليبية، الـدار المصـرية للتـأليف والترجمة، القاهرة،١٩٦٤،ص١٠.

(٣٥) المصدر نفسه: ص١٧.

(٣٦) ناصـر مكـارم محمـد: المـوجز في الأديـان والمـذاهب المعاصـرة،دار الوحـدة الإسـلامية،المدينة المنورة، ص (٧٦ – ٧٧)

(٣٧) برهـان غليـون: نقـد السياسـة، الـدين والدولـة، المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشـر، ط١، ١٩٩١،ص٣٥.

(٣٨) طه عبـد الـرحمن: في أصـول الحـوار وتجديـد علـم الكـلام، المركـز الثقـافي العربي،مطبعـة الـدار البيضاء، ط٢،٢٠٠٠،ص٦٩.

(٣٩) المصدر نفسه: ص٧٢.

(٤٠) ميشـيل باسـتورو (Michel Pastoureau) وكـذلك ألفـونس دوبرونـت (Alphonse Dupront) وغيرهم كما أوردهـم محمد نور الدين إفايه ١٣٠، ١٣١.

(٤١) الإستراتيجيات المفاهيمية للعولمة- وبدائلها آثار العولمة على العالم الإسلامي-: أ.د. محمـد السيد سليم، موقع الإسلام على الطريق الإنترنت٢٠٠٣م.

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) المصدر نفسه.

(٤٤) مجلـة المسـلمون:رامـي راغب،مقالـة عـن الهويـة الإسـلامية في خطـر، العـدد الأول مـن المجلّـد الخامس، تموز ١٩٦٣، مع الاختصار،ص٣٣.

(٤٥) تشبيه الخسيس بأهل الخميس: الذهبي، منشورة ضمن مجلة الحكمة، ١٩٣/٤.

(٤٦) تجديـد الـوعي: د. عبـد الكـريم بكّـار،دار الكتـب العلميـة،بيروت، الطبعـة الأولى، ١٩٩٧م، ص٢٢.